الحياة الفكرية في القيروان خلال العهد الصنهاجي الزيري

ا. الضاوية بريك

جامعة – أدرار

الملخص :

كانت القيروان أولى المدن التي تأسست في الإسلام، وكانت العاصمة السياسية للمنطقة، والمركز الثقافي الأول على امتداد القرون. ولقد كان العهد الصنهاجي الزيري أزهى عصورها على الإطلاق، فهو العصر الذي ارتقت فيه أعلى الرتب في سلم الحضارة، فقد عمّ الرخاء ورفاهية العيش، وجرت الثروة في أيدي السكان، وازدهرت العلوم والفنون، وانتعشت الحياة الفكرية انتعاشا كبيرا مسّ كلّ المجالات: العلوم الدينية – العلوم اللغوية –الأدب والنقد . فقد ذكرت كتب التّاريخ أسماء عشرات الأدباء والعلماء في هذا العصر، وعشرات المؤلّفات الّتي وصلنا بعضها وضاع معظمها بسبب الظّروف التّاريخية. ويكفي للدلالة على الأهمية الفكرية لهذا العصر، أن نذكر أسماء كابن شرف وابن رشيق، ومؤلفات كالعمدة، الذي يعدّ موسوعة في النظرية الشعرية العربية.

وأهمّ عوامل هذا الانتعاش هو محبّة أمراء هذه الدّولة للعلم، وتقديرهم للعلماء والأدباء وذوي المواهب، إضافة إلى الاستقرار السّياسي النّسبي في هذا العهد.

Résumé:

La vie intellectuelle à kairouan ,au temps de el-sanhadj al-ziri a connu un rebondissement considèrable, touchant tous domaines: sciences religieuses, sciences de langage ,la littèrature et la critique . Les livres d'histoire nous citent des dizaines de noms d'hommes de lettres et savants à cette èpoque des dizaines d'ouvrages qui nous sont parvenus mais dont la plupart ètaient pillès à cause des circonstances historiques.

Parmi les plus importants facteurs de ce dèveloppement l'amour des èmirs qu'iles portaient à la science ,et le respect manifestè à l'égard des savants et lettrèr , et la stabilitè politique durant cette pèriode .

مقدمة:

عانى التّراث الفكري لبلاد المغرب العربي مقارنة بتراث المشرق العربي التّهميش والنّسيان والإهمال حقبة ليست بالقصيرة، وإن كان هذا لا ينفي جهود الدّارسين وأهمية الدّراسات الّتي مسّت مختلف أقسام هذا التّراث، من أدب ونقد وتاريخ وفقه وفلسفة. ولا يقلّل من أهمية عمليات التّحقيق التي تناولت كنوز هذا التّراث وأخرجتها إلى النّور ومهّدتها للباحثين وطالبي المعرفة. إلا أنّ هذه الأعمال جاءت متأخرة، ونستطيع أن نقول إنها في بداياتها ولازال المشوار أمامها طويلا.

من الحقب المشرقة في تاريخ بلاد المغرب العربي،عهد الدولة الزّيرية الّتي عرفت ازدهارا فكريا كبيرا في شتى مجالات المعرفة والعلم، وأصبحت عاصمتها القيروان حاضرة من الحواضر الثقافية الكبرى في الدولة الإسلامية آنذاك.وأصبح طلّاب العلم يشدّون إليها الرّحال من كلّ البقاع. فما هي الظروف التاريخية لتأسيس هذه الدولة؟ وما هي عوامل الاستقرار والرخاء التي أفرزت هذا الانتعاش الحضاري في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، هي فترة الفتن والانقسامات والصراعات؟ وما هي مظاهر هذا الانتعاش في المجالات الفكرية المختلفة: العلوم الدينية– العلوم اللغوية – الشعر والأدب والنقد؟

1–المسار السياسي للدولة الزيرية :

استمر الحكم الفاطمي في المغرب حقبة من الزمن، ثم ما لبث الخليفة الفاطمي المعزّ[1] أن رحل إلى مصر، بعد أن سلم أمر إفريقية إلى حلفائه الزيريين

[1] المعز الفاطمي: باني القاهرة معد بن إسماعيل بن عبد الله أول من مللك مصر من الفاطميين . كان على رأس الدولة الفاطمية بالمغرب . وفي 358هـ بعث قائده جوهر فأحذ له بلاد مصر من كافور الإخشيدي بالقوة وبنى القاهرة وأقام الخطبة للمعز الفاطمي سنة362هـ، وانتقل إليها هذا الأخير فيما بعد . توفي المعز في القاهرة سنة 365هـ بمصر : ابن كثير : البداية والنهاية، خرّج أحاديثه الشيخ محمد بيومي والأستاذ محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة : 11/295–296 .

من قبيلة صنهاجة، الذين كانوا نعم المعين للفاطميين في قمع ثورات القبائل وتثبيت دعائم الدولة وتوسيع رقعتها. وهكذا تأسست الدولة الصنهاجية التي كانت عاصمتها القيروان.

يعتبر عصر الدولة الصنهاجية العصر الذهبي للقيروان وإفريقية، فقد " بلغت فيه البلاد قمة رقيها ومجدها وذروة حضارتها ونضارتها فتمتع الناس بالثروة والعلم والفنون الجميلة ومالوا إلى اقتناء الكماليات المادية والمعنوية فزها الأدب وسار الشعر في مدارج الرقي وراجت سوق الأفكار رواجا عظيما"[1]. والفضل في ذلك يرجع إلى سياسة الأمراء الزيريين الذين عرفوا بحب العلم وتشجيع العلماء، وإكرامهم وإغداق العطايا عليهم. وقد انعكس هذا إيجابا على الازدهار الحضاري.

رغم الاستقرار السياسي النسبي لهذه الدولة، ظهرت انشقاقات داخل الأسرة الزيرية الحاكمة، ثمّ اتسعت مع مرور الوقت لكي ترتبط بالسياسة الخارجية. وانتهت الصراعات برحيل قسم من الزيريين إلى طنجة، ومنها إلى محمد بن عامر[المنصور] بقرطبة .[2]

ولما تولى باديس أحد حكّام الصنهاجيين الحكم سنة386هـ خرج عليه عمه حمّاد الذي كان أحد ولّاته، واستمر هذا الصراع حتى ولاية المعز بن باديس. وانتهى الوضع بينهما بالاتفاق[3]. وانقسمت بذلك دولة آل زيري إلى دولتين: دولة آل المنصور بن بلكين وعاصمتها القيروان ودولة آل حمّاد بن بلكين وعاصمتها القلعة ثمّ بجاية.

---

[1] –عبده عبد العزيز قليقلة : **النقد الأدبي في المغرب العربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 1973م :ص 35– 36.

[2] ينظر :سعد زغلول عبد الحميد:**تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف بالإسكندرية :1998 : ص359–360.

3 ينظر :ابن الأثير:الكامل:عني بمراجعته ولتعليق عليه نخبة من العلماء، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، ج7، ص 278–279.

لم يكتب للدولة الصنهاجية العمر الطويل بعد هذا الانقسام، فقد عزم الفاطميون على معاقبة المعز بن باديس الذي لم يسر على نهج أجداده في طاعة الفاطميين. فما لبث أن أعلن استقلاله بالمغرب، وتبرأ من العقائد الشيعية، وأظهر بدلها مذهب الجماعة والسنة، وحمل رعاياه على التمسك بمذهب مالك، وقطع ذكر الفاطميين من الخطبة في الجوامع، وعوّض أسماءهم فيها بالخليفة العباسي في بغداد، وذلك سنة 433هـ[1].

لكن هذه القطيعة مع الفاطميين كانت بداية لنهاية الدولة الصنهاجية، فقد عزم الفاطميون على معاقبة المعزّ والانتقام منه. وأعدوا خطة للإطاحة بدولته، فشرعوا في إرسال عرب بني هلال إلى المغرب بعد أن أصلحوا بين قبائلهم المتصارعة، وأغدقوا عليهم الأموال. فأمروهم بالتوجه إلى بلاد القيروان، ووعدوهم بأن يملكوهم كلّ ما يفتحوه من أراضيها.[2]

استوطن عرب بني هلال بلاد إفريقية، وقويت شوكتهم، حتى أنهم هزموا المعزّ بعد أن خذلته جموع زناتة وصنهاجة، وذلك في موقعة قرب جبل حيدران سنة 442هـ.[3]

بعد هذه الموقعة أمر المعزّ رعيته بالخروج من القيروان إلى المهدية، لأنه أصبح غير قادر على حمايتهم.وانتقل هو أيضا إلى هناك سنة449هـ، حيث استقبله ابنه تميم الذي كان واليا على المهدية[4]، وقضى هناك بقية عمره حتى توفي سنة453هـ.

1ينظر: ابن عذارى المراكشي:**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومراجعة :ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت:1400هـ -1980م :ج1ص 277.

2 ينظر: ابن عذارى:**البيان المغرب**:ج1ص288.

3 ينظر: المصدر نفسه:ج1 ص289 -290. ابن الأثير:الكامل:56/8.

4ينظر: ابن الأثير:الكامل:ج وص نفسها.

خلف المعزّ ابنه تميم، وسار على نهج أبيه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم. إلا أنّ أطماع أصحاب البلاد من أمراء وحكّام المدن والأقاليم، والتي كانت قد بدأت في عهد المعزّ بعد دخول بني هلال إلى إفريقية، قد ازدادت بعد موته. فواجه تميم العديد من الثورات والانتفاضات.

وانتهى عهد الدولة الزيرية بسقوط البلاد في يد النورمان، الذين دخلوا طرابلس الغرب سنة 541هـ.[1]

2-الحياة الثقافية والفكرية في العهد الزيري:

عرف العهد الزيري ازدهارا شاملا في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وانعكس هذا الازدهار على الحياة الفكرية والأدبية فانتعشت ورقت، ومن أهم الأسباب التي ساعدت على هذا الانتعاش محبة أمراء هذه الدولة للعلم والأدب، وإكرامهم العلماء والأدباء فقد كان المعز بن باديس "محبا لأهل العلم كثير العطاء...ومدحه الشعراء وانتجعه الأدباء، وكانت حضرته محطّ بني الآمال..."[2] وكذلك كان الشأن مع ابنه تميم، فقد كان هو الآخر أديبا شاعرا ومحبا لأهل العلم والأدب.

كانت المناحي الفكرية والثقافية التي عرفت الازدهار والتطور هي ذات المناحي التي عرفها المشرق العربي وبلاد الأندلس بسبب وحدة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ووحدة الدين والعقيدة، وسنحاول الوقوف عند مختلف هذه المناحي بإيجاز.

أ-العلوم الدينية:

راجت في القيروان شتى العلوم الدينية كالحديث والتفسير والفقه، وقد عرفت البلاد أغلب المذاهب المعروفة في المشرق، لكن المذهب المالكي كان أكثر

1ينظر: ابن خلكان:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس:دار صادر: بيروت ج6 ص217.البيان المغرب:ج1ص316.

2 المصدر السابق:ج5 ص233.

المذاهب رواجا وانتشارا. انتقلت هذه المذاهب على يد العرب الوافدين وما لبثت حركة العلوم الدينية أن انتعشت وظهر العديد من العلماء والفقهاء من أبناء البلد، ومن علماء القيروان في مجال العلوم الدينية في عهد الدولة الصنهاجية :

-العالم الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي القيرواني، إمام المالكية في زمانه، كثير التأليف واسع الفقه حتى سمي << مالك الصغير>> . توفي سنة 386هـ[1]. من مؤلفاته: (النوادر) و(الزيادات على المدونة) و (مختصر المدونة) وكتاب(الرسالة) وكتاب (الاقتداء)[2].

-أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن يحي المعافري التونسي المتوفي سنة 443هـ، كان فقيها، صالحا، موصوفا بالفهم. قرأ القراءات وأجاز بها، من مؤلفاته كتاب (التعليقة على المدونة) وكتاب(التعليقة على كتاب ابن المواز).[3]

-أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال المتوفي سنة 485هـ، كان من أهل العلم بالفروع، والأصول، له مؤلفات منها كتاب(تأسّي أهل الإيمان بما طرأ على مدينة القيروان) وكتاب(الفقه على مذهب مالك بن أنس).[4]

ويبدو أنّ هذا النشاط في مجال العلوم الدينية وظهور المناقشات والمناظرات ومجالس الدراسة وحلقات البحث والتفسير، كان دافعا قويا وسببا في انتعاش المجالات اللغوية والأدبية والعلمية.

ب-العلوم اللغوية:

لم تعرف العلوم اللغوية والأدبية والنحوية في عهد الدولة الصنهاجية ذات الازدهار الذي عرفته العلوم الدينية، ومع ذلك تحدثت كتب التاريخ عن وجود

---

1 ينظر :أحمد أمين:ظهر الإسلام، ط4،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1966 :ج 1ص299-300.

2 ينظر: الدباغ : معالم الإيمان، تح عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية بيروت: 2005 : ج3 ص113-114.

3 ينظر :المصدر نفسه : ج3، ص180-181.

4 ينظر: المصدر نفسه: ج3، ص199.

نحاة ولغويين أكفاء، ومن مشاهير النحويين في المغرب الذين عاشوا بين القرنين الرابع والخامس الهجريين، ابن الوزّان(346هـ) الذي يقال إنّه حفظ كتاب (العين) للخليل وكتاب سيبويه(180هـ) وكتاب (المنصف) لأبي عبيدة (211هـ) و(إصلاح المنطق) لابن السكيت (244هـ) وكتب الفرّاء(207هـ)[1] .

ومن النحاة الذين ذكرهم السيوطي في (بغية الوعاة): عبد الله بن مسلم القيرواني(488هـ) الذي كانت له معرفة بالنحو واللغة وسافر إلى بغداد قاصدا دار الكتب للتوسع في علوم العربية، وأقام بها، وتولى تدريس العربية بالنظامية.[2]

ومن نحاة القيروان المعروفين الذين ذكرهم القفطي: علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عبدون الهذلي(519هـ).[3]

ازدهرت البحوث النحوية واللغوية في هذا العهد على يد أبي عبد الله محمد بن جعفر القزّاز القيرواني(412هـ) الذي نشأ في عهد ازدهرت فيه حضارة القيروان، وانتعشت فيها علوم العربية من نحو ولغة وأخبار وشعر.

يقول ابن رشيق عن القزّاز :" كان مهيبا عند الملوك وخاصة الناس، محبوبا عند العامة، يملك لسانه ملكا شديدا، وكان له شعر جيد مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة وممالحة من غير تحفز ولا تحفل، يبلغ بالرفق والدعة على الرحب والسعة أقصى ما يحاوله أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني بمفاصل الكلام وفواصل النظام "[4].

---

1 ينظر:السيوطي بغية الوعاة في طبقات النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر بيروت:1979: ج1، ص419

2 المصدر السابق :ج 2ص 64.

3ينظر: القفطي : إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة : 1950 :ج 2ص292.

4ينظر: ابن رشيق : أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1406هـ -1986م ص 363.

نهض بمهمة التدريس في المسجد الجامع بالقيروان، وتتلمذ على يديه عدد هائل من طلّاب العلم. ألّف العديد من المصنفات في النحو اللغة والأدب، لغت تسعة عشر مصنفا منها:كتابه المعروف(ما يجوز للشاعر في الضرورة) وكتابه(العشرات) كتاب (الجامع في اللغة)[1] الذي وضعه على حروف المعجم وهو يقارب التهذيب للأزهري.[2]

ج- الشعر و الأدب :

عرف الشعر على عهد الدولة الزيرية ازدهارا كبيرا بلغ أوجه في عهد المعزّ بن باديس الذي كان محبا للشعر والأدب، مكرما لأهلهما، حتى اجتمع ببلاطه مائة شاعر.[3]

والملاحظ أنّ أدباء القيروان في مختلف فروع العلم والثقافة، كالفقه والشعر والفلسفة والطب والرياضيات مارسوا قول الشعر، وقد قال الشعراء المغاربة في مختلف الأغراض التي كانت ذائعة في الشعر العربي من مدح وهجاء ورثاء ووصف وغزل.

كما أنّ طبيعة البلاد الخلابة الساحرة، تركت لمساتها الواضحة على الشعر. فهام الشعراء بها ووصفوا مظاهرها المختلفة في البر والبحر، فوصفوا الأزهار والأنهار والرياض والمنتزهات والفوارات والسحاب والليل.

وتناول الوصف أيضا مظاهر الحياة الاجتماعية، وكان لحياة البذخ والترف التي عرفها المجتمع الزيري، خاصة طبقة الملوك والأثرياء، تأثير على الشعر، فوصف الشعراء مجالس اللهو والمجون ومظاهر الغنى والترف، كوصف القصور الفخمة التي كلف الأمراء الزيريون بإنشائها.

---

1 ينظر :ابن خلكان:وفيات الأعيان:ج4ص374.

2ينظر : أحمد أمين:ظهر الإسلام:ج1ص305.

3ينظر: حسن حسني عبد الوهاب:بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، المطبعة التونسية، تونس:1912ص 51.

كما شاع غرض الرثاء، وبرع فيه جملة من الشعراء وأجادوا، لكن الغرض الذي تفردوا به هو رثاء المدن، وقد ظهر هذا الموضوع بعد خراب القيروان على يد عرب بني هلال، فرثاها عدد من الشعراء ووصفوا ما كانت عليه من حضارة وازدهار، وأظهروا ما آلت إليه من خراب ودمار، وتحدثوا عن الشوق والحنين إليها.

ومن الشعراء الذين رثوها ابن رشيق بقوله (من الكامل) [1] بقوله:

كَم كانَ فِيهَا مِنْ كِرَامٍ سَادةٍ بِيضِ الوُجُوهِ شَوَامِخِ الإِيمَانِ
مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الدِّيَانةِ والتُّقَى لِلَّهِ في الإِسْرَارِ والإِعْلاَنِ
كَانتْ تُعَدُّ القَيرَوَانُ بِهم إِذَا عُدَّ المَنَابرُ زَهْرَةَ البُلْدَانِ
وتَجَمَّعَتْ فِيها الفَضَائلُ كُلُّهَا وغَذَتْ محَلَّ الأَمْنِ والإِيمَانِ
نَظَرَتْ لهَا الأَيَّامُ نَظْرَةَ كَاشِحٍ تَزْنُو بِنَظْرَةِ كَاشِحٍ مِعْيَانِ

وقال الشعراء المغاربة أيضا في غرض المدح، وكان موجّها في أغلب الأحيان لمدح الأمراء الزيريين، وذوي المناصب العليا في الدولة. كما طرقوا مختلف الأغراض الشعرية الأخرى المعروفة في الشعر العربي، كالتوسلات والزهد، وفي هذا الغرض اشتهر أبو الفضل النحوي بقصيدته المنفرجة، وعنوانها الكامل: "تيسير الأرب وتفريج الكرب"، وقد أوردها الغبريني في عنوان الدراية، يقول في مطلعها[2]:

اشْتَدِّي أزمة تَنْفرجي قَدْ آذنَ ليلُكِ بِالبَلـجِ
وظلامُ اللّيلِ لهُ سُرُجُ حتّى يغْشَاه أبو السَّرجِ
وسَحَابُ الخيرِ لهُ مَطَرُ فإذا جَاءَ الإبَانُ تَجِ

[1] – ابن رشيق : الدّيوان، تح الدّكتور محي الدّين ديب، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت:1418هـ –1998م، ص 143–145.

[2] – الغبريني : عنوان الدراية، تح: رابح بو نار، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1972 ص 272.

وقد اهتم العلماء والأدباء بهذه القصيدة، وقاموا بشرحها وتخميسها، وفاق عدد شروحها الثمانية، منها شرح بالتركية.[1]

ومن الذين قاموا بتخميسها الشيخ أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي(636هـ)، وهو أديب وفقيه جليل، ومن علماء بجاية الذين ذكرهم الغبريني في عنوان الدراية.[2]

يمكن أن نستنتج أنّ الشعر عرف تطورا وازدهارا كبيرين في عهد الزيريين . فمن الناحية الشكلية، اتّبع المغاربة نهج المشارقة، وحافظوا على سمات الاتجاه المحافظ على عمود الشعر العربي. أما من حيث المضمون، فلم يكتفوا بالأغراض المعروفة في الشعر العربي، بل أبدعوا مواضيع جديدة تتناسب مع بيئتهم المحلية، وأضافوا للشعر العربي غرضا جديدا هو رثاء المدن.

لم يتأخر النثر هو الآخر عن ركب الحضارة، فانتعش وتطور "فكانت للكتابة عندهم مكانة منزلة ليس وراءها إلا منزلة الجيش، إذ كانوا هم العمدة، يتناول إنشاؤهم التهنئات بالنصر، وتقليد الوظائف، ومكاتبات العمال والأمراء والملوك".[3]

وفي طليعة الذين مارسوا الكتابة نجد ابن رشيق(456هـ)، ويليه ابن شرف(460هـ)، وأبو إسحاق الحصري(413هـ)،وتأتي بعد ذلك طبقة أخرى أقل شهرة، منهم عبد الكريم النهشلي(405هـ)،وابن الربيب المعروف بالقاضي التيهرتي(420هـ)[4].ويمكن تقسيم النثر في هذا العصر إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] بوقربة الشيخ:مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي،(رسالة دكتوراه)،جامعة وهران:1999-2000ص 20.

[2] ينظر : الغبريني:عنوان الدراية، تح:رابح بو نار، ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1971ص 271 .

3 عبد الله شريط:تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب،ط3المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:1983 ص 193 .

4 ينظر : بشير خلدون، ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1981 ص 22-25.

1-النثر الديواني: وكان يستعمل في مراسلات الدولة، وأجهزة القضاء والجيش. ومن الذين اشتهروا في هذا المجال علي بن أبي الرجال(426هـ) رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية، واشتهر بالكرم وتشجيع الأدب.[1]

2-النثر الأدبي والفني:في هذه الفترة من تاريخ الحضارة العربية طغى أسلوب التصنع على النثر، وهو أسلوب يقوم على تصعيب طرق الأداء وتعقيدها[2]. وقد تأثّر الأدباء في القيروان بهذا المذهب، لذلك حرصوا في كتاباتهم على التزام السجع والأسلوب الأنيق المثقل بالزخارف. ولم يسلم من هذا التيار إلا ابن رشيق. وقد خلف ابن رشيق إنتاجا أدبيا ضخما ومتنوعا، إلا أنّ معظمه ضاع ولم تصلنا منه إلا العناوين. وعلى العموم فإنّ النثر الفني في العهد الصنهاجي تطور" تطورا عظيما من حيث أسلوبه وأفكاره وموضوعاته وعلت منزلة أصحابه...وفيه أيضا راج استعمال البديع وتركت الألفاظ الوحشية جريا مع تيار الحضارة وقد أثّر ذلك في القوالب الشعرية وفي الصياغة الأدبية بصفة عامة."[3]

3-النثر العلمي:استعمل في مجالات العلم المختلفة، كالتاريخ والفلسفة . وممن عرفوا في الميدان : إبراهيم الرقيق القيرواني(425هـ)، وكان مؤرخا معروفا، تولى رئاسة ديوان الإنشاء في الدولة الصنهاجية لفترة طويلة.[4] وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي(320هـ)، وأصله من مصر وسكن القيروان، وقد ألّف في الطبّ والحكمة والمنطق.[5] وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المشهور بابن الجزار(369هـ)، وكان طبيبا ماهرا، وله العديد من المؤلفات في الطب وغيره. فمن كتبه: كتاب في علاج الأمراض ويعرف ب(زاد المسافر) في مجلدين،

1ينظر: أحمد أمين:ظهر الإسلام :ج1ص305.

2 ينظر: شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط12، دار المعارف، القاهرة: دت ص9.

3 عبد العزيز قليقلة: النقد الأدبي في المغرب العربي ص 37-38.

4 حسن حسني عبد الوهاب:المنتخب المدرسي من الأدب التونسي، ط2،المطبعة الأميرية، القاهرة:1944: 62.

5 أحمد أمين:ظهر الإسلام:ج 1ص301 .

وكتاب (العدة لطول المدة)، وهو أكبر كتبه في الطب، وله في التاريخ كتاب(التعريف بصحيح التاريخ)، وهو كتاب مختصر يشتمل على وفيات علماء أهل زمانه.[1]

د-**النقد:**

عرف العهد الزيري حركة نقدية نشيطة .ففي خضم الازدهار الحضاري وانتعاش الحياة الفكرية الذي عرفته القيروان في العهد الزيري، نشأت مدرسة نقدية متكاملة المعالم لم تكتف بتكرار ما قاله النقاد المشارقة، بل أضافت جديدا وأثرت المكتبة النقدية العربية بمؤلفات نفيسة لكن-للأسف- ضاع معظمها بسبب الظروف السياسية غير المستقرة التي عاشتها المنطقة .ومع ذلك فما بقي منها يشكّل رافدا هاما من روافد تراثنا النقدي.

فقد ألّف عبد الكريم النهشلي(406هـ)(الممتع في صنعة الشعر)، وأغنى ابن رشيق(456هـ) النقد العربي بثلاثة مؤلفات هامة هي:(العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، (أنموذج الزمان في شعراء القيروان)، (قراضة الذهب في نقد أشعار العرب).وألّف ابن شرف(460هـ)مقامته النقدية (مسائل الانتقاد).إضافة إلى كتب أخرى تمسّ النقد إلى حد ما منها (زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري القيرواني(413هـ) .إضافة إلى كتاب (ما يجوز للشاعر في الضرورة) للقزّاز القيرواني (412هـ).

إنّ عملية استقراء متأنية لهذه المؤلفات، تظهر نوعا من التقارب بين آراء هؤلاء النقاد، وزوايا مشتركة للرؤيا يمكن أن نعدها سمات وخصائص لمدرسة القيروان النقدية، وأهمها:

-تنبهوا لأثر البيئة في الشعر، خاصة عبد الكريم النهشلي وابن رشيق الذي أشار إلى اختلاف مواضيع الشعر تبعا لاختلاف البيئات.[1]

1ينظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء دط، مكتبة الحياة، بيروت:1965: ص 481 – 482 .

-أثاروا قضية نقدية هامة، وهي علاقة العوامل النفسية بالعملية الإبداعية، فقد عرّف النهشلي الشعر بالفطنة التي تعني قوة الاستعداد لإدراك الأشياء والإحساس بها. و رأى ابن رشيق أنّ الشاعر سمي كذلك لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره.[2]

-امتازت معالجتهم النقدية بالتروي والروح العلمية والابتعاد عن التعصب، لذلك فإن ميلهم إلى التوفيقية في معظم القضايا، لا يعبر عن الضعف وعدم القدرة على تبني اتجاه معين، وإنما يدل على بعد الانفتاح في الرأي .

-جمعوا ونظّموا الكثير من مصطلحات علم البلاغة، وأضافوا مصطلحات جديدة كالاتساع والاطراد ونفي الشيء بإيجابه والترديد والتتبيع والتفصيل.

-آمنوا بدور الشعر في الحياة، وتأثيره في النفوس، فأشادوا بأهميته وقيمته، ودافعوا عنه في مؤلفاتهم . فقد

ألّف النهشلي كتاب (الممتع) للدفاع عن الشعراء في عصر غالبهم فيه الكتاب، وألّف القزاز (ما يجوز للشاعر في الضرورة) دفاعا عن الشعراء ضد تعصب اللغويين، وعقد ابن رشيق في (العمدة) بابا عن فضل الشعر، وبابا في الرد على من يكره الشعر .

-كان توجههم في النقد توجها أخلاقيا ملتزما، فرفضوا الشعر الإباحي وشعر الهجاء، وألّحوا على توضيح رأي الإسلام في الشعر وعدم رفضه له من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة رضوان الله عنهم. ومن المنطلق ذاته رفضوا التكسب بالشعر.

- أثاروا موضوع الوحدة في القصيدة الذي ظل مهملا عند معظم النقاد، في ظل طغيان وحدة البيت في الشعر العربي. نجد ذلك عند الحصري الذي انتقى

---

1 ينظر :ابن رشيق:**العمدة في محاسن الشعر وآدابه**،تح محي الدين عبد الحميد، ط3، مكتبة السعادة، مصر :1963هـ :ج1ص225 .

2 ينظر: المصدر نفسه:ج 1ص116 .

نص الحاتمي الذي صور فيه القصيدة كالجسم المترابط الأعضاء .[1] و النهشلي الذي لم يمانع بوصل البيت بما بعده إذا تعلق به في المعنى . أما ابن رشيق فرفض الوحدة، ورأى أنها لا تناسب إلا الشعر القصصي.

– فهموا عملية الأخذ أو السرقة الأدبية على حقيقتها كظاهرة بديهية في الفكر الإنساني، تعبر عن حاجة اللاحق إلى الاستفادة من السابق، وضرورة تلاقي الأفكار وتناقحها . لذلك وقفوا من الموضوع موقفا وسطا، قال عبد الكريم النهشلي : "...واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات.[2]

خاتمة:

ويمكن في الأخير أن نستخلص جملة من النتائج، والنتيجة المحورية فيها هي أنّ للظروف التاريخية والحضارية تأثيرا قويا ومباشرا على حركية الإبداع والتفكير عند الإنسان. وقد بدا ذلك واضحا من خلال تتبع النشاط الفكري الذي عرفته القيروان خلال العهد الصنهاجي الزيري، فقد ساعد الرخاء الحضاري وتشجيع الأمراء على الإبداع. فظهرت حركة فكرية واسعة شملت مختلف فروع المعرفة. خاصة في مجال الأدب حيث ظهرت على الشعر والنثر علامات التفنن والرغبة في توليد المعاني. وهو شبيه بما عرفه الشعر العربي في المشرق في صدر الدولة العباسية، حين ارتقت الحضارة.

كما عرفت هذه الحقبة من تاريخ القيروان و المغرب العربي حركة نقدية متميزة، تجلّى ذلك من خلال أهمية المؤلفات وأهمها العمدة لابن رشيق، كما يمكن ملاحظة أنّ آراء النقاد المغاربة امتازت بالأصالة والاستقلالية في الرأي.

---

1 ينظر :الحصري:**زهر الآداب وثمر الألباب**، قدم له وضبطه وشرحه صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية ة بيروت :2001: ج3ص24 .

2 ابن رشيق: العمدة : ج2 ص281.

وهذا لا يعني الانقطاع عن النقد المشرقي، وإنما الأصالة الحقيقية تعني أن يعتمد الإنسان على ما حققه أسلافه وينطلق في التجديد والإبداع.

ويمكننا أن نستنتج أيضا أن لعملية التأثير والتأثر دورا هاما في الرقي الحضاري والفكري. فالموقع الاستراتيجي للقيروان بوقوعها في طريق الرحلة بين المشرق والأندلس جعلها ملتقى الرّحالة وعابري السبيل من طلبة العلم، وهو ما مكّن من وصول المؤلفات المشرقية والأندلسية إليها، واطلاع الأدباء والعلماء، وبالتالي معرفة مختلف الآراء والمذاهب الفكرية والأدبية الجديدة. ولا شك أنّ في ذلك إغناء للفكر وتوسيعا للأفق المعرفي.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

-ابن الأثير (أبو الحسن علي):

1-الكامل في التاريخ،عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء،الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت:1400هـ-1980م.

-ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس):

2-عيون الأنباء في طبقات الأطباء،مكتبة الحياة،بيروت:1965.

-الحصري(إبراهيم بن علي):

3-زهر الآداب وثمر الألباب، قدّم له وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى المكتبة العصرية،بيروت:2001.

-ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين):

4-وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت: دت.

-الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري):

5-معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت:2005.

-ابن رشيق(أبو الحسن علي):

6-أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر :1406هـ-1986م.

7–العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مكتبة السعادة مصر :.1963

8– الديوان، تحقيق محي الدين ديب، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت:1418هـ–1998م.

–السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن):

9–بغية الوعاة في طبقات النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر ،بيروت:1979م.

–ابن عذارى المراكشي:

10–البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة :ج.س.كولان وإليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الثقافة،بيروت:1400هـ–1980م.

أبو العرب(محمد ابن أحمد):

11–طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباض، الطبعة الثانية، دار الكتب التونسية للنشر والتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر :1985.

–ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل):

12–البداية والنهاية، خرّج أحاديثه الشيخ محمد بيومي والأستاذ عبد الله المنشاوي والأستاذ محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة: دت.

ب– المراجع:

–أمين أحمد:

12–ظهر الإسلام، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة:1966.

–حسني عبد الوهاب(حسن):

13–بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، المطبعة التونسية، تونس:.1912

14–المنتخب المدرسي من الأدب التونسي، الطبعة الثانية، المطبعة الأميرية،القاهرة:1944.

–الدكتور خلدون(بشير):

15–الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر :1981

–الدكتور شريّط (عبد الله):

16– تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر :1983.

–الدكتور ضيف(شوقي):

17–الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، القاهرة :دت.

– الدكتور قليقلة (عبده عبد العزيز):

18– النقد الأدبي في المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة:1973.

الأطروحات:

الدكتور الشيخ بوقربة: مفهوم الشعر في التراث النقدي المغاربي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران :1999-2000.